قطعا تاما ، ولكن اليهود رفضوا ذلك على الفور لانهم يعتبرون علاقاتهم ببريطانيا مسالة جوهرية »(٨٥). وقد ترافق ذلك مع ارتفاع عدد اليهود الذين يخدمون في البوليس في فلسطين من ٣٦٥ عام ١٩٣٥ الى ٦٨٢ عام ١٩٣٦ ، وفي اواخر ذلك العام اذنت الحكومة بتجنيد ١٢٤٠ يهوديا كبوليس اضافي مسلح ببنادق حربية ، وارتفع العدد بعد شهر الى ٢٨٦٣ مجندا(٨٦). ولعب ضباط بريطانيون دورا بارزا في قيادة مجموعات يهودية للهجوم على قرى عربية . **والثانية** : ان وجود زعامة الثورة خارج فلسطين (في دمشق) قد جعل دور القيادات المحلية المنحدرة من اصل فلاحي فقير في معظمها دورا اكبر مما كان في الحقبة المنصرمة، وكان هؤلاء يرتبطون مع الفلاحين ارتباطا وثيقا ، وذلك يفسر ، الى حد بعيد ، المدى الابعد الذي كان بوسع الثورة ان تصله . لقد برز في هذه الحقبة ، على سبيل المثال ، عبدالرحيم الحاج محمد كقائد محلي ، ويقول الشيوعيون انهم كانوا يتصلون به ويزودونه بالمعلومات(٨٧). وكان من الممكن ان يشكل هذا التطور نقطة انعطاف تاريخية في الثورة لولا ضعف « اليسار »، بمعناه النسبي ومعناه الحقيقي ، ولولا اضطرار هذه القيادات المحلية للاحتفاظ بصلتها التنظيمية الى حد معين مع « اللجنة المركزية للجهاد » في دمشق ، وذلك ليس فقط بسبب الولاء التقليدي لها ، ولكن ايضا بسبب اعتمادها بدرجة من الدرجات على تمويلها . في تاريخ النضال الفلسطيني برمته لم تكن الثورة الشعبية المسلحة اقرب الى الانتصار مما كانت عليه في تلك الشهور التي امتدت بين اواخر ١٩٣٧ واوائل ١٩٣٩ . لقد ضعفت في هذه الفترة سيطرة القوات البريطانية على فلسطين ووصلت هيبة الاستعمار الى الحضيض ، واصبحت سمعة الثورة ونفوذها هما القوة الاساسية في البلاد . الا ان ما حدث في هذا الوقت ايضا هو ازدياد قناعة بريطانيا بأن عليها الاعتماد على القوى الصهيونية ان هي ارادت سيطرة طويلة الامد على الوضع ، وقد اعطاها الصهاينة حالة فريدة لم تكن لها في اي من مستعمراتها. هذه الحالة هي توفر قوة محلية لها مع الاستعمار البريطاني قضية مشتركة، ومشحونة حتى اقصى الحالات ضد السكان المحليين. في تلك الفترة بدأت بريطانيا تخشى من اضطرارها لتحويل جزء من قوتها العسكرية لمواجهة المأزق الاوروبي المتصاعد الحدة ، ولذلك اخذت تميل باطراد نحو « الاسراع في تنظيم قوة دفاع يهودية متطوعة ، بالاضافة الى القوة القائمة وعددها ٦٥٠٠ مسلح »(٨٨). وقد مضت قدما في سياسة الاعتماد على القوة المحلية الصهيونية وتسليمها جزءا كبيرا من واجبات القمع الذي كان يتسع ، ومع ذلك فانها لم تقطع ذلك الجسر الذي كانت تتركه دائما قائما بينها وبين قيادة الطبقات التي كان يتزعمها المفتي ، وقد لعب البريطانيون في هذا المجال بالذات ، وفي هذه الفترة بالتحديد ، دورا بارزا في ابقاء المفتي بمثابة الممثل غير المنازع لعرب فلسطين ، فقد كان احتياطيهم من القيادة الواقفة على يمين المفتي قد احترق عمليا ، ولذلك لم تكن عملية استبعاد المفتي من اعتباره الزعيم الاوحد الا عملية « لا تبقي من يستطيع تمثيل العرب سوى قادة الثورة في الجبال»(٨٩)، على حد قول المندوب السامي البريطاني لفلسطين ، ولا شك ان ذلك من بين اسباب اخرى ، ساعد على ابقاء الحاج امين الحسيني على قمة قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية رغم انه كان قد غادر مكان اختفائه في الاقصى ، بأسلوب مثير ، وظل في دمشق منذ اواخر تشرين الاول ١٩٣٧ .

ان العسف البريطاني الذي تصاعد بصورة غير متوقعة ، وتصاعد عمليات المداهمة والاعتقال الجماعي والإعدام طوال ١٩٣٧ و١٩٣٨ انهكت الثورة ، ولكنها لم تضع حدا لها ، وقد ادرك البريطانيون ان الثورة هي في جوهرها ومادتها وقياداتها المحلية ثورة فلاحية ، وحين حاولت ، نتيجة ذلك ، ان تمايز في تعاملها مع المدينيين ادت الروح الثورية المهيمنة في فلسطين بأجمعها الى تعميم لباس الرأس الفلاحي (الكوفية والعقال) في المدن ، كي لا يخضع الريفي النازل الى المدينة لعسف السلطة ، وبعد ذلك منع الجميع من حمل هوياتهم الشخصية كي لا تكتشف السلطة الفلاح من المديني .

ان هذا الواقع يشير الى طبيعة الثورة والى نفوذها في تلك المرحلة اشارة واضحة للغاية ، كان الريف ، بصورة عامة ، هو رحم الثورة ، وكانت عمليات احتلال المدن المؤقتة في ١٩٣٨ تتم اثر هجمات يشنها الفلاحون(٩٠) من الخارج ، وهذا يعني ان الفلاحين والقرويين بصورة عامة هم الذين كانوا يدفعون الثمن الاكبر . ففي عام ١٩٣٨ اعدم